شهرٌ، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء[١] في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربةً؛ لم يظمأ بعدها أبداً[٢].

﴿٢﴾ ولمَّا ذكر مِنَّته عليه؛ أمَرَهُ بشكرها، فقال: ﴿فصلِّ لربِّك وانحَر﴾: خصَّ هاتين العبادتين بالذِّكر؛ لأنَّهما أفضل[٣] العبادات وأجلُّ القربات، ولأنَّ الصلاة تتضمَّن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقله[٤] في أنواع العبوديَّة، وفي النحر تقرُّبٌ إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراجٌ للمال الذي جُبِلَت النُّفوس على محبَّته والشُّحِّ به.

﴿٣﴾ ﴿إنَّ شانِئَكَ﴾؛ أي: مبغضك وذامَّك ومتنقصك، ﴿هو الأبتر﴾؛ أي: المقطوع من كلِّ خيرٍ؛ مقطوعُ العمل، مقطوعُ الذِّكر، وأمَّا محمدٌ ﷺ؛ فهو الكامل حقًّا، الذي له الكمال الممكن للمخلوق[٥] من رفع الذكر وكثرة الأنصار والأتباع ﷺ.

❁ ❁ ❁

تفسير سورة قل يا أيها الكافرون

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾.

﴿١ ـ ٦﴾ أي: قلْ للكافرين معلناً ومصرِّحاً: ﴿لا أعبُدُ ما تعبُدون﴾؛ أي: تبرَّأ مما كانوا يعبدون من دون الله ظاهراً وباطناً. ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبُدُ﴾: لعدم إخلاصكم في عبادتكم لله[٦]؛ فعبادتُكم له المقترنةُ بالشِّرك لا تسمَّى عبادةً. وكرَّر ذٰلك ليدلَّ الأوَّل على عدم وجود الفعل، والثاني على أنَّ ذٰلك قد صار وصفاً

---

(١) في (ب): «أوانيه كنجوم السماء».
(٢) كما في «صحيح مسلم»(٢٣٠٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
(٣) في (ب): «من أفضل».
(٤) في (ب): «وتنقلها».
(٥) في (ب): «في حق المخلوق».
(٦) في (ب): «لله في عبادتكم».

لازماً، ولهٰذا ميَّز بين الفريقين، وفصل بين الطائفتين، فقال: ﴿لكم دينُكم وليَ دينِ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿قلْ كلٌّ يَعْمَلُ على شاكِلَتِه﴾؛ أنتم بريئون ممَّا أعمل، وأنا بريءٌ ممَّا تعملون.

❁ ❁ ❁

تفسير سورة النصر

وهي مدنية[١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾.

﴿١ ـ ٣﴾ في هٰذه السورة الكريمة: بشارةٌ، وأمرٌ لرسوله عند حصولها، وإشارةٌ، وتنبيهٌ على ما يترتَّب على ذٰلك:

فالبشارةُ هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكَّة، ودخول الناس ﴿في دين الله أفواجاً﴾ بحيث يكون كثيرٌ منهم من أهله وأنصاره بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هٰذا المبشَّر به.

وأما الأمر بعد حصول النَّصر والفتح؛ فأمر [اللَّهُ] رسولَه أن يشكره[٢] على ذٰلك، ويسبِّح بحمده، ويستغفره.

وأما الإشارة؛ فإن في ذٰلك إشارتين: إشارة أنَّ النَّصر يستمرُّ للدين[٣] ويزداد عند حصول التَّسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله؛ فإن هٰذا من الشُّكر، والله يقول: ﴿لئن شكرتُمْ لأزيدَنَّكم﴾: وقد وُجِدَ ذٰلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هٰذه الأمَّة، لم يزل نصر الله مستمرًّا حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دينٌ من الأديان، ودخل فيه من لم يدخل في غيره، حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتُلوا[٤] بتفرُّق الكلمة وتشتُّت الأمر، فحصل ما حصل، ومع هٰذا؛ فلهٰذه الأمَّة ولهٰذا الدِّين من رحمة الله ولطفه ما لا يخطر بالبال أو يدور في الخيال.

---

(١) في (أ): «مكية».
(٢) في (ب): «أن يشكر ربَّه».
(٣) في (ب): «إشارة لأنْ يستمرَّ النصر لهذا الدين».
(٤) في (ب): «فابتلاهم الله».